

كيف أعدت الكنيسة أولادها للاستشهاد ؟

إنَّ الاستشهاد اختبار تَقوي يومي يحيا فيه المؤمن ، والكنيسة كجسد المسيح المُتآلم ، يلزمها قبول سِمات المسيح الرأس حتى تكون لها شركة الحُب الحقيقي والوحدة التي بين العريس المُتآلم وعروسه ، بين الرأس والجسد (الأعضاء) .
ولأنَّ الحرب قاسية وشديدة تلك التي تُهدد جنود المسيح ، لذلك هيأتهم ليشربوا كأس دم المسيح اليومي حتى يُعطيهم إمكانية تقديم دمهم مسفوكاً لأجله ، لأنَّ من قال أنه ثابت فيه ينبغي أن يسلك كما سلكَ ذلك (1يو 2 : 6) .

دور الكنيسة في الإعداد للاستشهاد :

كان دور الكنيسة الأساسي الذي قامت به أثناء الاضطهادات المريعة التي صادفتها خلال الثلاثة قرون الأولى ، هو إعداد أبنائها لاجتياز تلك الاضطهادات التي كانت في عهد الأباطرة المُضطهدين 0:

سنة 64م	(1) نيرون
سنة 81م	(2) دوميتيان
سنة 106م	(3) تراجان
سنة 161م	(4) أوريليوس
سنة 193م	(5) ساويرس
سنة 235م	(6) مكسيميانوس
سنة 250م	(7) ديسيوس
سنة 257م	(8) فالريان
سنة 274م	(9) أورليان
سنة 303م لكنه سالم الكنيسة منذ توليه سنة 284م حتى سنة 303م	(10) دقلديانوس

ومن إحصائية قام بها بعض المؤرخين للسنوات التي عاشتها الكنيسة تحت الحرمان والاضطهاد ، تبين ما يأتي : 0

سبت سنوات اضطهاد ، مُقابل 28 سنة تسامُح .	القرن الأول
86 سنة اضطهاد ، مُقابل 14 سنة تسامُح .	القرن الثاني
24 سنة اضطهاد ، مُقابل 76 سنة تسامُح .	القرن الثالث
10 سنوات اضطهاد ، حتى صدور مرسوم ميلانو .	القرن الرابع

فالكنيسة عاشت تحت الحرمان والاضطهاد والمُطاردة ابتداءً من عصر نيرون سنة 64م إلى سنة 313م ، حتى مرسوم ميلان السلمي الذي أصدره فُسطنطين الكبير ... ومع أنَّ الاضطهادات لم تكن بدرجة واحدة في العُنف ، إلا أنَّ الكنيسة من سنة 249م حتى تملك فُسطنطين الكبير ذاقت اضطهادات ومُطاردات ومذابح عظيمة .

فكانت تُلقن أولادها إنهم مُجاهدون لأنَّ حياة المُجاهد تستوجب التدريب على النُسك والجهاد ... ويذكر التاريخ والتقليد الكنسي أنَّ هناك شُهداء لم يكونوا مُستعدين ولا مُدربين لذلك عجزوا عن الشهادة ، وكذلك نجد أنَّ القديس كبريانوس الأسقف والشهيد سنة 249م يُؤكد على حمل سلاح الله .. فصار تدريب الكنيسة الروحي المُستمر هو الاستعداد للموت وتصفية النُفس .

كما وحرصت الكنيسة على أن يهتم أولادها بالكتاب المُقدس ، يحملونه وينسخونه ويعيشونه ، فالكنيسة تُغذي أولادها بكلمة الحياة منذ حدثهم ليُشبهوا بقلوب مُستنيرة لا يهابون الوُلاة بل بجرأة مُنقطعة النظير يشهدون للمسيح الراعي والفادي والمُخلص .

وقامت الكنيسة بتصوير أمثلة وقصص العهد القديم على الفرسكا والرخام والنقش على الأحجار لتعميق الأثر الإنجيلي في قلب الشعب عن طريق الرؤية الروحية ، ومن أبرز المناظر الإنجيلية التي ركزت عليها الكنيسة في أزمنة الاضطهاد 0:

- الفتية في الأتون . - دانيال النبي في جُب الأسود . - يونان في بطن الحوت .

تلك المشاهد التي تُلمح الثقة بالمعونة الإلهية وتُوحى بنجاة إجازية اقتناعاً بخلص الرب الذي يصنعه في حينه ، فيتم التعليم عن طريق تصوير أمثلة وقصص العهد القديم ، من أجل التلمذة على الكتاب المُقدس (الإنجيل المُعاش) .

واهتمت الكنيسة أيضاً بدراسة الحقائق اللاهوتية ، وكان التعليم الكنسي مهمة البطارقة والأساقفة ، وهنا برزت في التاريخ الكنسي شخصيات عظيمة أمثال المُدافع يوستين الشهيد ، والعلامة أوريجانوس ، والقديس كيرلس الأورشليمي ، والقديس كبريانوس أسقف قرطاجنة الشهيد الأفريقي .

وكانت الكنيسة تُوزع مقالات وكتابات أعدها مُعلِّمو البيعة بخصوص الحث على الاستشهاد للتذكير بالوصايا والمواعيد الإلهية والأمجاد السماوية ، وتعليم الشعب حقائق الإيمان وجوهر العقيدة ، مع التحذير من الضعفات ..

وقد انبرى آباء الكنيسة وقاموا بدور عظيم ، مثل القديس أنطونيوس الكبير الذي أرسل عدّة رسائل إلى الكهنة والشمامسة يحثهم على تشجيع المُعترفين وتثبيتهم في الإيمان .. فقامت بمهمة تثبيت المُعترفين في سجونهم وتعزيتهم في وسط ظلام السجون ، مع تقديم العون لهم والسهر على روحياتهم وعلمت الكنيسة أولادها حياة التسبيح والتهليل حتى إذا تقدموا في حلبة الاستشهاد ، امتزجت دماؤهم بالصلوات والتسابيح المُفرحة واحتفظوا بشجاعة ناصعة بلا عيب ، فبلغوا إلى الموت مُسبحين الحي إلى أبد الأبدن ، ثابتين غير هَيَّابين ولا مهزومين في الإيمان.

وقد اهتمت الكنيسة اهتماماً خاصاً لا يتناقض بمن هم في السجون ، الذين اعترفوا بالرب اعترافاً حسناً ، وخدمت هؤلاء البراسيل ، واعتنت بأجساد من فارقوا الحياة وانتهوا نهاية مجيدة في السجون ، أو ماتوا قبل التعذيب ، فشجاعتهم ليست أقل ممن عُذِّبوا ، بعد أن قاسوا ما كانوا عازمين ومُستعدين أن يُقاسوه واعترفوا وصبروا إلى النهاية .

لم تُعلم الكنيسة أولادها التذمُّر بل كانت تُثبِّت فيهم روح الحب للجميع وبالأخص للمُضطهدين ، وتُصلي من أجل أولادها لأنها تعرف ضعف البشرية ونقصها ... وعلمت الكنيسة أولادها البُعد عن الإثارة حتى أن القديس بطرس خاتم الشهداء قدّم نفسه للاستشهاد خفية ، حتى لا يثور الشعب ضد المُضطهدين

ولأن كنيستنا كنيسة تُسكية علمت المسكونة كلها النُسك والرهبنة ، لذلك هي أيضاً أم الشهداء ، التي بتدريبيها لأبنائها على الصوم والجهاد جعلت منهم مُصارعين وشهداء ، فلا يخافون من أي عدو خارجي ، لأنهم انتصروا على أنفسهم فغلبوا العالم كله ، والنُصرة إنما تبدأ من داخل ...

لم تنس الكنيسة الرعاية الاجتماعية لأسر الشهداء ، من خلال حياة الشركة (الكينونيا) ، فكان الأغنياء يضمون إليهم المُشردين ، وكان البطارقة والأساقفة يتخفون في ملابس الفقراء ويزورون الأسر المُشرّدة ويُقدِّمون لهم العطاء ، مع مُتابعة هذه الأسر اجتماعياً وروحياً ومساعدتهم مادياً .

أيضاً قامت الكنيسة برعاية المُعترفين ، وسهرت على الذين قدّموا حياتهم ثمناً للإيمان بالثالوث القدوس ونالوا العذابات .. اهتمت بهم وهم في السجون وتحت المُحاكمة .

ولم يُفُت الكنيسة أن تقوم بالرعاية النفسية لأبنائها المُقبلين على الاستشهاد ، سواء بالافتقاد للمحبوسين ، أو بمُساندتهم روحياً بالعظات والرسائل التي تحث على الثبات وتُوضِّح بركات الاستشهاد ، فضلاً على اهتمام الكنيسة بإقامة الصلوات الخاصة من أجل طلب مراحم الله ومعونته من أجل هؤلاء الشهداء أبناء الكنيسة ، مع تسجيل يوم استشهاد كلاً منهم حتى يمكن الاحتفال بتذكاره بين الشهداء .

وقامت الكنيسة بالرعاية الروحية لهم ، ونبّهت المُعترفين والشهداء إلى الاحتراس من المديح والسقوط روحياً ، وإيقاظ وعيهم ببركات الألم ، حتى أن كبريانوس الشهيد بعث رسالة للمُعترفين يقول فيها “ كأننا نحن محبوسين بينكم ، لأننا بالقلب معكم ... نفتخر بافتخاركم ” .

ركّزت الكنيسة على الأعضاء الضعيفة ، والمرتدين والجاحدين ، بالارشاد والصلوات والافتقاد وبمزيد من الرعاية .

لذلك لم تترك الكنيسة أولادها بدون ذخيرة دفاعية ، بل ليصطفوا فرّقاً فرّقاً تحت سِتار جسد ربنا يسوع المسيح ودمه ، تُشبعهم الكنيسة من الزاد السماوي (الافخارستيا) درعهم الحصين .

وبهذا الاهتمام الشديد كانت تُعد أبنائها للاستشهاد ، مُعنية بتكوينهم الروحي والأخلاقي والأدبي وبمعرفتهم للكتاب وعيشه لكي تُكَمِّل ذبيحة الذين يعترفون بالمسيح يسوع ويضمن عبورهم تلك الضيقات والعذابات بروح مسيحية عالية .

القاص اثناسيوس فهمي جورج

2009-9-15

للدراستات الابائية

<http://www.ixoyc.net>

frathanasius.george@ixoyc.net